كل شيء كسلاح

دليـل ميداني للحرب في القرن الحادي والعشـرين

تأليف: مارك غاليوتي

ترجمـة: دينا عبدالمنصف

المستقبل
للأبحاث والدراسات المتقدمة

كل شيء كسلاح

دليل ميداني للحرب في القرن الحادي والعشرين

المستقبل
للأبحاث والدراسات المتقدمة

بطاقة فهرسة:

كل شيء كسلاح: دليل ميداني للحرب في القرن الحادي والعشرين/ تأليف مارك غاليوتي؛ ترجمة دينا عبد المنصف، الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي، 2023.

ص254: مقياس الكتاب 14x20 سم

ردمك (النسخة المطبوعة) 978-9948-771-07-4

ردمك (النسخة الإلكترونية) 978-9948-771-06-7

1. سياسة - الحرب 2. قضايا معاصرة أ. غاليوتي، مارك، 1965 - ب. عبد المنصف، دينا ج. المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة.

يتضمن هذا الكتاب الترجمة العربية لكتاب:

Weaponsiation of Everything: A Field Guide to the New Way of War

Originally by Yale University Press, London.

©Mark Galeotti, 2022.

© حقوق النشر العربية محفوظة للمستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة - أبوظبي، باتفاق خاص مع دار جامعة ييل للنشر.

*الآراء الواردة في الكتاب تعبر عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة.

كل شيء كسلاح

دليل ميداني للحرب في القرن الحادي والعشرين

تأليف: مارك غاليوتي

ترجمة: دينا عبد المنصف

FUTURE
for Advanced Research & Studies

المستقبل
للأبحاث والدراسات المتقدمة

عن المستقبل:

مركز تفكير (Think Tank) مستقل، أنشئ عام 2014، في أبوظبي، بدولة الإمارات العربية المتحدة، للمساهمة في تعميق الحوار العام، ومساندة صنع القرار، ودعم البحث العلمي، فيما يتعلق باتجاهات المستقبل، التي أصبحت تمثل إشكالية حقيقية بالمنطقة، في ظل حالة عدم الاستقرار وعدم القدرة على التنبؤ، خلال المرحلة الحالية، من خلال رصد وتحليل وتقدير "المستجدات" المتعلقة بالتحولات السياسية والاتجاهات الأمنية، والتوجهات الاقتصادية والتطورات التكنولوجية، والتفاعلات المجتمعية والثقافية، المؤثرة على مستقبل منطقة الخليج، وفي نطاق الشرق الأوسط عموماً.

للاتصال والمعلومات:

سكاي تاور، جزيرة الريم، الطابق (31)

ص.ب 111414 أبوظبي, الإمارات العربية المتحدة

هاتف: 971+ - 24444513

فاكس: 971+ - 24444732

Email: info@futureuae.com

www.futureuae.com

*حقوق النشر محفوظة ولا يجوز الاقتباس من مواد الإصدار من دون الإشارة إلى المصدر

المستقبل
للأبحاث والدراسات المتقدمة

سلسلة الكتب المترجمة

المدير التنفيذي
حسام إبراهيم

المستشار الأكاديمي
د.إبراهيم غالي

المحرر
محمد العربي

الترجمة
دينا عبدالمنصف

المراجعة اللغوية
محمذن الغوث
أحمدو اباه

التصميم الفني
عبدالله خميس

الفهرس

المقدمة 09

1- صحوة التسليح 15

الجزء الأول: لن أدرس حروب (إطلاق النيران) بعد اليوم 33

2- نزع السلاح عن الحرب؟ 35

3- أكثر من مجرد جنود أو الجيوسياسة بصفتها عملاً حراً 57

الجزء الثاني: الأعمال التجارية والجرائم الأخرى 79

4- الأعمال التجارية 81

5- شراء الأصدقاء والتأثير في الناس 103

6- الجريمة 121

الجزء الثالث: الحرب تحيط بنا من كل جانب 145

7- الحياة 147

8- القانون 167

9- المعلومات 183

10- الثقافة 201

الجزء الرابع: مرحباً بكم في المستقبل 219

11- انعدام الاستقرار كسلاح 221

12- كيف نتقبل الحرب البيضاء الدائمة؟ 235

إهداء الكاتب

إلى آنا، بغير أمل أن تُغمد السيوف.

مقدمة

إنه يوم بعد غد، وقد بدأت الأضواء تنطفئ فجأة. ظلت القطارات تسير حتى توقفت تلقائياً، وتوقفت المصانع في الفترة الليلية، ويتساءل المراهقون المحبطون في أرجاء البلاد عن سبب انقطاع الإنترنت. ويتبين لاحقاً أن القراصنة قد اخترقوا وسائل الدفاع، والنسخ الاحتياطية، وآليات الوقاية، التي قد تبدو مبهرة، والتي من المفترض أن تؤمن شبكات توليد الطاقة التي تغذي شرقي اليابان وغربها، لما يزيد على عام بحرفية كبيرة. ما زالت الكهرباء تُوّلد في محطات الطاقة النووية، وتوربينات الرياح، ومواقد الوقود الأحفوري التقليدية على حد سواء، لكنها لا تحقق أي نتائج تُذكر نظراً لتعطل شبكات توليد الكهرباء الوطنية. سيستغرق الأمر 48 ساعة حتى تُطهّر الأنظمة من البرمجيات الخبيثة ويعاد تشغيلها من جديد، أي لمدة يومين كي يتذكر الجميع مدى اعتماديتهم على الطاقة الثابتة الوفيرة، والأهم من ذلك، المعتمد عليها.

مرت هذه الهجمة دون إراقة للدماء إلى حد كبير، لكن ليس كلياً. فقد أسفرت عن ضحايا في وحدات العناية المركزة؛ حيث كانت مولدات الكهرباء الاحتياطية غير كافية أو بطيئة للغاية في اتصالها بالإنترنت. وتوفي 71 شخصاً في حوادث طرق بسبب تعطل إشارات المرور. هناك قائمة طويلة من المآسي التافهة التي لا داعي لها؛ كسقوط أحدهم من على السلم بسبب الظلام المفاجئ، أو إصابة أحدهم بنوبة هلع شديدة في شاحنة في أوساكا لدرجة أنه كسر النافذة وألقى بنفسه فلقي حتفه.

من الذي تستدعيه في وقت الأزمات الوطنية الحقيقية؟ يتدخل الجيش للتعامل في بعض التداعيات الثانوية. وبالتالي من المنطقي أن تقع قدرته على الانخراط في تدريبات على مناورات "السيف المشحوذ" التي تنظمها قوات الدفاع الذاتي اليابانية بالتعاون مع الولايات المتحدة ضحية تلك الهجمة؛ حيث انشغل الجنود بتوفير مولدات الكهرباء للمنازل أو مساعدة الشرطة في القيام بدوريات في الشوارع ضد النهب استغلالا للوضع القائم.

تعلن الحكومة بسرعة عن الهجمة على الرغم من أنها ليست لديها أجوبة واضحة على كيفية حدوث الهجمة من الأساس، ناهيك عن مرتكبيها. ولكن وسائل الإعلام العدائية كانت تهيئ العامة لعدة أشهر أو تثير غضبهم بشأن الفساد، وبالأخص سوء إدارة البنية التحتية الوطنية. لذا أصبحوا لا يعرفون ماذا يصدقون، ثم انقلبوا بشدة ضد الإدارة عند تسريب رسائل البريد الإلكتروني الرسمية المخترقة التي توضح أن تحذيرات قد وُجّهت إلى الوزراء من قبل من وقوع أعطال كارثية متتالية في مجموعة نظم قديمة وتحديثات محدودة في شبكات توليد الكهرباء. وتمثل هذه الرسائل واقعاً أسوأ، لكنه واقع. ومن ثم يبذل المتحدثون الرسميون قصارى جهدهم في توضيح سياق الأمر بأن تلك التحذيرات قوبلت بغيرها، ما يؤكد قوة النظام وأنه "يفي بالغرض". ولكن ينم ذلك عن ضعف النظام وأنه يخدم مصالح شخصية، خاصة بعد أن اتضح أن بعض المستندات الأخرى قد اختفت من أنظمة الدولة.

قد يبدو الأمر تغطية على شيء ما. فحجج الحكومة منغمسة في نهم إعلامي تؤججه حالة من العصيان والتمرد بين صناع الرأي الغاضبون حقاً أو الانتهازيون من سياسيين وصناع محتوى على تيك توك. وانتشر فيديو

يسخر من رئيس الوزراء الياباني، الذي تحدث للأسف وفوقه شعار "القدرة على فعل الخير"، وكذلك انتشرت صورة لسيدة شابة وجذابة تبكي في جنازة جدها، الذي توفي في عمر يناهز 96 عاماً، وكان مسعفاً سابقاً يشارك في سباقات الماراثون الخيرية حتى الثمانينات من عمره، وأصبحت الصورة المعبرة عن تداعيات الهجمة. ويتصدر الصورة في إحدى الصحف عنوان "ألم يكن جدي يفي بالغرض؟".

لقد تنافست بكين على عطاء لاستبدال شبكات توليد الكهرباء الوطنية الرئيسية في اليابان قبل عامين، لكنها لقيت رفضاً لدواعي الأمن القومي. واليوم يقدم تحالف من شركات تمتلك إحدى شركات الطاقة الكهربائية الصينية 51% من حصصه عرضاً جديداً لإعادة بناء الشبكة بتكنولوجيا جديدة وبسعر زهيد وبسرعة. لقد كان رئيس لجنة الشؤون الخارجية البرلمانية والدفاع أحد النقاد اللاذعين للصفقة الأولى، لكن قبل أن يعلق على الأمر قُتل بشكل مأساوي في عملية سطو فاشلة، حسب تقرير الشرطة، لعدم توفر أدلة بديلة. بينما ما زال يزعم آخرون أن الأمر كله حيلة معقدة للحصول على التعاقد؛ ومن ثم، السيطرة على شبكات توليد الكهرباء الوطنية. ومع ذلك، يشمل التحالف شركات يابانية صغيرة ترى أن أرباحها المحتملة في خطر، وبالتالي كلفت محامين مكلفين محنكين برواتب جيدة، ومن ثم بدأ وابل من قضايا التشهير. لكن نجاحهم من عدمه أمر غير مهم؛ حيث إن الكلفة المحتملة للدفاع في هذه القضايا تخرج الكثيرين من المنافسة وتردع الآخرين. وبالتالي يكف الناس عن الحديث عن المخاطر، في العلن على الأقل.

في هذه الأثناء، وظفت بكين، التي أعلنت بصدق أملها في ألاّ تتحكم الصينوفوبيا (رهاب الصين) في السياسة، أهم أسلحتها؛ حيث عرضت الباندا العملاقة "تشو لين" لحديقة حيوان أوينو Uneo في طوكيو. تنجح الصفقة، وتفوز الصين بالتعاقد، ما يعد نصراً وربما النفوذ طويل الأمد الذي كانت تسعى من أجله.

يعد هذا السيناريو كابوساً مرعباً، وإن كان بالتأكيد غير مرجح. ولكن كذلك كان حادث اختطاف الـ 19 إرهابي لأربع طائرات تحلق في سماء الولايات المتحدة في 2001 باستخدام سكاكين القرطاسية، الذي يعد أشرس هجمة إرهابية على مر التاريخ. أو ما حدث في إيران؛ حين دُسّت دودة "ستوكسنت" (Stuxnet) الحاسوبية على ناقل معلومات USB إلى منشأة نطنز النووية - المدفونة تحت الأرض بحراسة قوات النخبة وأنظمة مضادة للطائرات وأسلاك شائكة - والتي كان بإمكانها جعل أجهزة أجهزة الطرد المركزي المستخدمة في تخصيب اليورانيوم لصنع القنابل تفجر نفسها بنفسها. أو حين استولت روسيا على جزء من إحدى الدول المجاورة في 2014 تقريباً دون إطلاق رصاصة واحدة، زاعمةً أن ليس لها يد فيما حدث. لقد تجسد بالفعل كل عنصر من عناصر هذا السيناريو؛ بداية من اختراق البنية التحتية إلى حوادث القتل، في حروب الظل غير المعلنة في القرن الحادي والعشرين.

تزداد كلفة السلاح أكثر وأكثر، فيما تصبح الجماهير (حتى في الأنظمة الاستبدادية) أقل تسامحاً بكثير تجاه الخسائر والضحايا. على أية حال، لقد ولت الأيام التي كانت تقاس القوة فيها بعدد مناجم الفحم ومنافذ المياه الدافئة ومساحة الأراضي الزراعية. لطالما لجأت الدول إلى وسائل غير عسكرية للإرهاب والخداع والتضليل في سعيها نحو النصر. لكن العالم أصبح أكثر تعقيداً وترابطاً على نحو لا انفصام له مقارنة بأي

وقت مضى. لقد سارت الحكمة المعهودة القائلة بأن "الاعتماد المتبادل" قد أنهى الحروب. وكان ذلك هو الأمر الواقع إلى حد ما، لكن الضغوط التي أججت حروباً لم تختفِ أبداً؛ ومن ثم أصبح الاعتماد المتبادل ساحة قتال جديدة. قد تصبح الحرب بلا اقتتال، والصراعات غير العسكرية المستخدم فيها جميع أنواع الوسائل الأخرى، والتحول من التخريب إلى العقوبات، ومن الميمات إلى القتل، الوضع المعتاد الجديد.

في خضم ذلك، يمكن أن تُطمس الحدود الفاصلة بين الحرب والسلام فتصبح بلا أهمية تذكر، ومن ثم يصبح "النصر" مجرد مرور اليوم بسلام دون أية ضمانات للغد؛ بل عوضاً عن ذلك، سيصبح عالمنا في صراعات مستمرة أقل حدة، غالباً ما ستكون غير ملحوظة أو معلنة وبلا نهاية، حتى أن حلفاءنا سيكونون هم ذاتهم منافسينا. إننا بالفعل في زمن يسوده فكر "تسليح" أي شيء؛ من معلومات إلى الشغب في مباريات كرة القدم، خاصة في ضوء التوتر المتصاعد بين روسيا والغرب. عندما اشتبكت عشاق كرة القدم الروس مع المشجعين البريطانيين في فرنسا في بطولة أمم أوروبا لكرة القدم 2016، صرح مصدر من الحكومة البريطانية لصحيفة ذي أوبزيرفر بأنه "يبدو أن تلك الاشتباكات امتداد للحرب الهجينة التي شنها بوتين"، وغلب التصريح قدر من التبرير الأخلاقي أكثر من المعقولية.

إذا استخدم كل شيء كسلاح، ألا يصبح بلا جدوى؟ هذه نقطة وجيهة إلى حد ما، لكن حتى وإن أمكن تسليح كل شيء، فبعض الأشياء أكثر قابلية لأن تصبح سلاحاً من غيرها. هذا الكتاب دليل ميداني لنمط الحرب الجديد، أو ربما طريقة حرب جديدة، أو حتى عالم الحرب الجديدة. هذا الكتاب ليس تنبؤاً بالمستقبل؛ بل مقدمة لمسار مستقبلي محتمل؛ حيث نبهتنا جائحة كورونا أن في الحياة نصطدم بأمواج غير متوقعة قد تغير العالم بأكمله. قد يكون من السهل اعتبار المستقبل المقصود هنا واقعاً مريراً

الـصراع فيـه أبـدي، ويمكـن اسـتخدام كل شيء فيـه من أعمـال خيرية للقانـون كسـلاح. لكننـي أفضـل أن أُسـتهدَف بميمـات مربكـة عـن قذائـف نوويـة، ومـن حسـن الحـظ عـدم وجـود قصـف مدفعـي في حـرب المعلومـات. هـذا لا يعنـي بـأي حـال مـن الأحـوال مسـتقبلاً مـن الصراعـات دون إراقـة دمـاء - حيـث يمـوت النـاس جـراء العقوبـات الاقتصاديـة، والمعلومـات المضللـة المناهضـة للقاحـات، والفسـاد في ميزانيـة الصحـة أيضـاً - ولكـن أقـل دمويـة؛ حيـث تصبـح الحـروب المبـاشرة بـين دولـة وأخـرى خروجـاً عـن السـائد. وقـد يكـون عالمـاً يسـتطيع فيـه الأخيـار اسـتخدام الأدوات نفسـها بفاعليـة كمـا يفعـل الأشرار إن وحـدوا جهودهـم. ونعـم، أسـتخدم هـذه العبـارات السـاخرة - ففـي الجيوسياسـة كلٌ يخـدم مصالحـه الخاصـة، ونـادراً مـا يكـون أحـد خـيّراً أو شريـراً كليـاً؛ بـل يتنـوع القبـح بـين النـاس - ومـع ذلـك يمكـن وضـع حـدود فاصلـة بـين تلـك القـوى المطالبـة نوعـاً مـا بحفـظ الاسـتقرار ونظـام دولي قائـم عـلى القواعـد وبـين مـن هـم عـلى اسـتعداد عـام لتحديهمـا.

في نهايـة المطـاف، هـذه ليسـت مرافعـة. وشـئنا أم أبينـا، هـذا أحـد السـيناريوهات المحتملـة في المسـتقبل، لـذا حـري بنـا أن نضعـه عـين الاعتبـار اليـوم. مـن المنطقـي أن نشـكو مـن اسـتخدام القـوى الأخـرى الأذكـى والأدهـى والأشرس لتلـك الأدوات ضدنـا، ولكـن إن لـم نفعـل شـيئاً، سـنظل نشـكو باسـتمرار. فـلا شيء أقـوى مـن تسـليح الفكـر والخيـال.

"يقدم هذا الدليل السريـع وغير المغرق في المصطلحات والتفاصيل المتخصصة قائمة بالأزمات والقضايا سريعة التحرك والتطور على نحو دائم.. إنه تذكير حيوي بأن الحرب تتكيف مع التكنولوجيا وأن المدنيين هم جزء من الصراعات الحديثة سواءً أحبوا ذلك أم كرهوه."

روجر بويز، ذي تايمز

"دليل غاليوتي الميداني هو نظرة عامة وواضحة على نحو مثير للإعجاب عن أشكال الصراع الغامضة والعصية على الفهم. توصف هذه المساحة بالحروب الهجينة أو حروب المنطقة الرمادية أو الحروب منخفضة الكثافة.. إنها المنطقة غير المحددة بين العلاقات السلمية والحرب المعلنة."

هيلين واريل، فاينانشيال تايمز

الحروب الهجينة، حروب المنطقة الرمادية، الحرب غير المقيدة. لقد أضحت الصراعات التقليديةـ تلك التي يخاض فيها القتال بالبنادق والمدافع والطائرات المسيرة- أكثر تكلفة ولا تحظى بالشعبية في الداخل وتستعصي على الإدارة. وفي العصر الذي تهدد فيه الولايات المتحدة أوروبا بالعقوبات، وتنفق الصين المليارات لشراء النفوذ في الخارج، يتجه العالم نحو عصر جديد من الصراعات الدائمة منخفضة الكثافة، غير الملحوظة وغير المعلنة وغير المنتهية في أغلب الأحوال.

مع عودة الصراعات إلى أوروبا مرة أخرى، يقدم مارك غاليوتي الخبير المتخصص في الجريمة العابرة للحدود، مسحاً شاملاً وجديداً لطرق الحرب الجديدة. من خلال إلقاء نظرة فاحصة على مختلف مناطق العالم، وكذلك مختلف الحقب التاريخية، من العالم القديم حتى عصرنا الحالي، يوضح غاليوتي الطرق التي تخاض بها صراعات العالم حيث يستخدم كل شيء كسلاح، بداية من عمليات التضليل والتجسس والجريمة والتخريب، وهو ما يؤدي إلى نشر الاضطرابات داخل الدول وعدم الشرعية في أغلب دول العالم. وبدلاً من التعويل على العودة إلى ما فات من "عالم مستقر ومعروف ويقيني،" يشرح غاليوتي طرق البقاء والتكيف، بل واستغلال الفرص التي يقدمها الواقع الجديد.

مارك غاليوتي: (من مواليد أكتوبر 1965) باحث ومؤرخ بريطاني متخصص في الشؤون الأمنية الروسية والجريمة العابرة للحدود. يدير غاليوتي شركة "مايك للاستخبارات"، وهو أستاذ شرفي بكلية دراسات الشعوب السلافية وشرق أوروبا بجامعة لندن، كما أنه زميل للمعهد الملكي للخدمات المتحدة، ومعهد الشرق الأوسط بواشنطن. صدرت له العديد من الكتب والدراسات حول تاريـخ روسيا والنظام السياسي الروسي والجريمة المنظمة.

ISBN: 978-9948-771-07-4

9 789948 771074

المستقبل
للأبحاث والدراسات المتقدمة